المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 22 No. 22
آب 2026 August 2026

التأويل الباطني والبطن القرآني تركيزًا على رأي السيّد العلَّامة الطباطبائي

م.م أزهر عيسى حلو
ثانوية المتفوقين في الرفاعي، قسم تربية الرفاعي، المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار، ذي قار، العراق
azharaloboodi@gmail.com

المستخلص

نِيَت دراستنا بِمَعرِفَةِ البَطن مِنَ النُّصُوصِ الدِّينيَّةِ النَّقلِيَّةِ، وَقَد أَسمَينَاهَا "التَّأوِيلُ البَاطِنِي والبَطنُ القُرآنِي تَركِيزًا عَلَى رَأي السَّيِّد العلَّامة الطَّبَاطَبَائِي" مُتَّخِذِينَ المَنهَج الوَصفِي التحليلي، الَّذي يقوم على معرفة دلالات الآيات والروايات على البطن، إذ أنَّ الهدف والغاية الأساسيَّة مِن وَراءِ بحثِنَا إثبات أنَّ التأويلات الباطنيَّة للخطابات الشرعيَّة هو بيان المعاني العميقة والخفيَّة في النصِّ القرآني والروائي حسب المعايير، وهذا ما يريده الشارع ويقصده فيهما، وهذه الخطابات تتحقَّق بتطبيقها على الواقع حسب ظروف وأحوال الإنسان المُعاشَة بِمَا ذَكَرَهُ المُفسِّرُ الكبير مِن كَشفٍ وبَيانٍ للمَضامِين التي تَنطَبق عليها بالدلالة الإلتزاميَّة أو المَصادِيق الحادِثَة، ولا يفوتنا القَول أنَّ تعدُّد هذه المعاني المؤوَّلة للخطابات الشرعيَّة ودرجة اختلاف المتأوّلين لها ذُو أَثَر بَليغ في أكثر المسائل الفقهيَّة، وفي كافَّة فروع وجزئيات هذا الدِّين تَبَعًا لقوَّة استنباط كلّ مُجتَهِد راسخ في العلم، وكلٌّ حسب تأويله للنصِّ من خلال أدلَّة الشريعة التي تضمَّنت حقائق الفهم الباطني العَمِيق لَها، ورُغمَ وجود التباين في التأويلات التي استنبطت من قبل المتأوّلين لكنَّها لم تتعارض كليًّا، وهذا هو سِرُّ الإنسجام في النصوص الدِّينيَّة دُونَما تَهَافُت أو تَعارُض، وذلك لِمَا في السياق وغيره من الروابط البيانيَّة التي مِن شَأنِها أَن تحكم النصوص بقالب يحكي الاتفاق والتناغم مهما تَنافَرَتِ الألفاظ في حدِّ نفسها وحَاقَ لفظها، هذا وأنَّ للبطن القرآني حقيقة وجودية عينيَّة محكمة غير مفصلة، وهي غير التي بَينَ أيدينا، يطلعها الله لخُزَّان العلم وترجمان القرآن ومن سلك طريقهم من أولي البصائر وأرباب الحقائق والمعارف، وحتى لا نقع في المحظور، فإنَّ طرق التأويل الباطني تحتاج الى ملكة وقوة الاستنباط والفهم والمعرفة الراسخة للخوض في معاني الألفاظ ومن ثُمَّ الوصول الى تأويلها الأعظم.

الكلمات المفتاحية: التأويل، البطن القرآني، الطباطبائي.

Esoteric Interpretation and the Qur’anic Bāṭin: A Focus on the Perspective of Allāmah Ṭabāṭabāʾī

Azhar Issa Hilo
Al-Rifai Distinguished Students Secondary School, Department of Al-Rifai Education, General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate, Dhi Qar, Iraq.
azharaloboodi@gmail.com

Abstract:

Our study is concerned with uncovering the esoteric dimension (al-baṭn) of transmitted religious texts. We have titled it "Esoteric Interpretation and the Qur’anic Bāṭin: A Focus on the Perspective of Allāmah Ṭabāṭabāʾī", employing a descriptive-analytical methodology. This approach involves identifying the semantic indications of verses and narrations that point to the bāṭin inner meanings. The primary objective of our research is to demonstrate that esoteric interpretations of religious discourse aim to uncover the profound and concealed meanings within the Qur’anic and narrational texts, based on established

hermeneutic standards. This esoteric depth is not only legitimate but also intended by thegreat exegete , and these discourses are actualized when applied to the lived realities of human beings. We draw on the insights of the great exegete Allāmah Ṭabāṭabāʾī, who elucidated the inner layers of meaning through uncovering implicit indications or identifying specific, context-bound referents (maṣādiq ḥāditha) tied to ilzāmī (entailment-based) meanings. It is worth noting that the multiplicity of such esoteric interpretations and the degree of variation among interpreters has had a profound influence on many juristic (fiqh-related) issues, permeating various branches and particulars of Islamic law. These differences stem from the depth of ijtihād and hermeneutic ability of each scholar, as each interprets the text through the evidentiary framework of the Sharīʿah, which itself encapsulates deeply embedded esoteric understandings. Despite the diversity of these interpretations, they do not fundamentally contradict each other. This coherence reflects the inherent harmony within religious texts—free from contradiction or incoherence—thanks to contextual and rhetorical linkages that shape the text within a unifying framework, even when the apparent meanings of words might seem dissonant or distant on the surface. The esoteric dimension (bāṭin) of the Qur’an is regarded as a definitive ontological reality distinct from its outward textual form. It is disclosed by God to the custodians of knowledge, the interpreters of the Qur’an, and those who follow their path of insight and understanding. Therefore, engaging in esoteric interpretation requires intellectual aptitude, strong inferential and analytical abilities, and firmly grounded knowledge to explore the deeper meanings of Qur’anic expressions and attain their higher interpretation.

Keywords: Esoteric interpretation – Qur’anic Bāṭin – Ṭabāṭabāʾī

المقدمة

الحمدُ للهِ المَنَان، وصلوات ربِّي على خَير الأنام محمَّدٍ وآله الكرام.

أما بعد..

مِن نِعم اللهِ علينا أَنَّه خصَّ أُمَّتنا بكتابِهِ الكريم، ومن عظمة هذا الكتاب أنَّه شامل لتنظيم الإنسان وحياته، وتنظيم المجتمع وعلاقاته، فهو كتاب للتقدم والحضارة، والحكم والتشريع، والسياسة والاقتصاد، والعقيدة والأخلاق، وباختصار هو (كتاب الحياة) في الدارين، إذ أنَّ جمله وكلماته لم تحط بها المعاني، ففي كلماته معاني، وفي معانيه مباني، فمنها ما كان ظاهرًا ومنها ما كان أبعد وأعمق من ذلك -وهذا ما اختص به بحثنا- فهو كالشمس البازغة تُلبس الكون حلَّة جديدة في كلِّ يوم من ضوئها وشعاعها الذهبي، فكلَّما تدبَّرت في آيات القرآن تجد ما هو غضٌّ وطريٌّ، يفتح لك آفاقًا بعيدة، فهو كتابٌ حيٌّ لا يجرؤُ الموت أن يقترب منه، كونه كتاب الحيّ الذي لا يموت.

وانطلاقًا من ذلك يتحتَّم على كلِّ إنسان أن يستشعر عظمة وقيمة هذا الكتاب الإلهي، وما جاء فيه من مُحكَم ومُتَشابه، ونَهتم به كلَّ الاهتمام، ونعظِّم قدره في حياتنا، ونستفيد منه في بِناء وصِياغة شخصياتنا، وبِناء أُمَّتنا على ضَوء منهاجه الذي جاء به، كونه المنهج القويم، فننظر عظاته ونستلهم الدروس من

توصياته لتحسين واقعنا، ولا نقصِّر في الوصول الى هذا الهدف الذي يحقق للبشرية جمعاء الحياة الهانِئة في الدارين، والخلاص من العذاب، وحينها يفوز الناجون بالجنان ونعيمها الدائم.

وقد تشكَّل بحثنا من مبحثين: الأول: وفيه مطلبان: المطلب الأول: تكلمنا فيه عن التأويل الباطني، اما المطلب الثاني: فتناولنا فيه مفردة التأويل في القرآن والحديث، وتطرَّقنا الى بعض الآيات من سُوَرٍ مختلفة، وأوردنا بعض الروايات مع تحليلها، فبَيَّنت لنا أقسام التأويل، وأمَّا المبحث الثاني فتناولنا فيه رأي السيِّد الطباطبائي في الباطن وكيف يستند على استنباطه مستفيدين من بعض مؤلفاته، وفي الختام ذكرنا بعض من نتائج البحث وتوصياته.

مشكلة البحث

إنَّ مشكلة البحث وما يدور حول مصطلح التأويل الباطني إذ لا بدَّ من بيان ما تحتويه الآيات المباركة في مضامينها، إذ يحتاج الى تحليل الآيات والتبحر والغوص في علوم القرآن وعلم الحديث ودراسة الروايات من حيث سندها ومعرفة رواتها من خلال معرفة علم الرجال، والمتون ومدى مطابقتها للقرآن وعقليَّة وفكر الرسول والمعصوم (صلوات الله وسلامه عليهم)، ولذلك نحتاج الى المتواتر منها والصحيح، للكشف الدقيق عن بواطن الآيات، ولتجنب الوقوع في المحظور، فكلُّ رواية تحتاج الى الدراسة والتدقيق، فضلًا عن أنَّ التعدد في الرواة والمذاهب والمشارب والطوائف والفِرَق وكثرتها، فمنهم مَن يقول بقولنا، ومنهم مَن يخالفه، مما يجعل البحث متشعبًا فننسى غرضنا.

أهمية البحث

لا شكَّ بأنَّ دِينِنَا الإسلامي هو الحاكم لجميع العصور والأزَمان ولِكلِّ مَكانٍ، وعلى أساس ذلك فقد كانت أغلب الخطابات القرآنيَّة فيه بطريقة كليَّة ومجملة، ولم تقتصر هذه الخطابات -التي تحمل كثير من معانٍ واحتمالات، بحيث شملت كُلّ حوادث الحياة إلى قيام الساعة- على بيان المعاني والأحكام في النصوص الدِّينيَّة من خلال ظواهرها، بل تعداها إلى التأويل والتفسير الذي يعتمد الأدلَّة القرآنيَّة والروائيَّة للوصول الى الكشف عن حقائق الفهم الباطني العميق لها، وهذا ما تميَّز واختصَّ به خاتم الأديان والكتب السماوية.

هدف البحث

الهدف والغاية الأساسية من وراء بحثنا وما نريده من إثبات أنَّ التأويلات الباطنيَّة للنصوص الدينيَّة هو بيان ما يريده الشارع المقدس وما يقصده فيها، ولا يصل لهذا البُعد الباطني ولا يدركه إلَّا أصحاب المعرفة والعلم الراسخ، ولهذا نجد الاستمرارية لهذا الدين بوضع الحلول الفقهيَّة والدِّينيَّة كلَّما استجدت المشاكل واستحدثت المسائل.

الفرضيَّة الأصلية

إنَّ لمعرفة التأويلات الباطنية مقدمات، وإذا عرفناها فبالإمكان أن نصل الى الخفايا العميقة في النصوص الشرعيَّة، واعتقادنا بأنَّ هذه الخفايا والأسرار ممَّا ذكر في الأدلَّة النقليَّة ممَّا جعل لهذا الدين الاستمرارية في إيجاد الحلول للأحكام الشرعيَّة كلَّما استجدت مشكلة أو استحدثت مسألة.

الفرضيات الفرعيَّة

الأولى: أنَّ للتأويل الباطني ثلاثة أنواع قريب وبعيد وفاسد، فحتى لا نقع في المحظور لا بدَّ من الأخذ بمعايير وقواعد التأويل لكي نخرج بنتيجة إيجابيَّة ومقبولة ومطابقة للنص.

الثانية: ما ذكر في المنقول من أدلَّة متعددة ومختلفة كافٍ للأخذ بالتأويل الباطني لها، لأن استيعاب المفاهيم المهمَّة والمؤثِّرة يوصلنا الى غايتنا السامية.

المبحث الأول

المطلب الأول

التأويل الباطني والبطن القرآني

يطول الحديث عن مفردة التأويل التي وردت كثيرًا في النصوص القرآنيَّة الكريمة في مواضع وسور مختلفة ومنها الآية السابعة في سورة آل عمران التي قسَّمت آيات القرآن الى محكم ومتشابه.[1]

وهذا التركيب من مفردتين:

المفردة الأولى: (التأويل): من آل: يؤول، وتدور حول العاقبة أو الرجوع للأصل أو المصير، وغيرها من المعاني، والمفردة الثانية: (الباطني): وأصلها من مادة بَطن، وهو خلاف الظَهر، واسم الفاعل لبطن: هو باطن: والباطن ضد الظاهر.[2]

أما معناها الاصطلاحي للتأويل الباطني: هو أنَّ لنصوص الشريعة ظهرًا وبطنًا، والباطن هو التأويل، وهناك تعريفات أبعد من ذلك، ومنها تعريف من يقول أنَّه: "تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزيًّا أو مجازيًّا يكشف عن معانيها".[3]

التأويل في حوزة القرآن ودائرة علومه

ولنبين اصطلاح التأويل المتداول في حوزة القرآن ودائرة علومه، والذي يعتمده المفسرون وعلماء القرآن، فعرَّفه كثيرون واختلفت تعريفاتهم ولكنَّنا سنوجز ذلك فالذهبي قال: أنَّه تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين،[4] وهذا هو الملاحظ في كلمات قدماء المفسرين، ولعلَّ منه قول مجاهد: "إنَّ العلماء يعلمون تأويله"، وقول ابن جرير الطبري عند تفسيره للآية: "القول في تأويل قوله كذا" واختلف أهل التأويل في الآية،[5] وقد ذُكِرَ هذا المعنى في كلمات اللغويين، وما يذهب إليه العلَّامة الطباطبائي من كون التأويل هو الوجود العيني مع اختلاف، فالمتأخّرون كما ذكرنا يقولون: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، أما الشيخ معرفة فيرى أنَّه توجيه المتشابه، أي إرجاعه إلى ما يقبله العقل والشرع، وهو مختص بباب المتشابهات من الآيات؛ وهو تفسير ولكن بمعنى أعم من التفسير الذي معناه الكشف؛ لأنَّ هنا فيه دفع الشبهات، فيحتوي على الرفع للإبهام والدفع للإشكال،[6] فهو المعنى الثانوي للآية في مقابل معنى الآية الأولي

[1] الطوسي، التبيان، ج1 ، ص9
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج13 ، ص53-54
[3] صلبيا، المعجم الفلسفي، ج1، ص234
[4] الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص15
[5] الحكيم، علوم القرآن، ص226
[6] معرفة، التفسير الأثري، ج1، ص31

الظاهر،[1] والبعض قال: هو البطن، أي: بيان معاني الآيات القرآنية عن طريق الرموز والإشارات، وهذا النمط هو الشائع والمتَّبع في التفاسير الباطنية والعرفانية والصوفية، التي تعتمد على الكشف والشهود دون قواعد اللغة والتفسير، وذكر الآلوسي: "أنَّ التأويل إشارة قُدسيَّة ومعارف سبحانيَّة، تنكشف من سُجف العبارات للسالكين، وتنهل من سُحب الغيب على قلوب العارفين".[2] وعلى ضوء التعريفات نلاحظ أن التأويل ثلاثة أنواع قريب وفاسد وبعيد.

المطلب الثاني

أوَّلًا: التأويل في القرآن الكريم

القرآن: وهو خاتم الكتب السماوية، الذي أنزله الله على نبيّه المصطفى محمد (ص)، ولقد وردت مفردة التأويل في بعض السور القرآنية المباركة وفي مواضع مختلفة نذكر بعضًا منها:

ففي قول السبحان: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}،[3] قسَّمت الآية القرآن الكريم الى قسمين: آيات محكمات وأُخَرُ متشابهات، وبينت نوعين من المؤولين: هما الذين في قلوبهم زيغ، والراسخون في العلم.

وقوله تباركت أسماؤه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}،[4] وهنا في هذا النص المبارك بيان الرجوع الى الله والرسول في حال التنازع وهذا خير وأحسن مآل ومرجع.

وقوله جلَّ وعلا: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ..}.[5]

وقوله تبارك اسمه: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}.[6]

ومنها ما جاء في سورة يوسف في مواضع منها في قوله تبارك وتعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ}،[7] {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}،[8] وقد تكررت في السورة عبارة تأويل الأحاديث، وهو علم علمه الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام، كما أوَّل للسجينين والملك رؤياهم والتي كانت تحمل معانٍ باطنية.

أما سورة الكهف فقد جاءت فيها كلمه التأويل على هذا المنوال أيضًا قال تعالى: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}،[9] وبعد تأويل كلِّ فعل من الأفعال الثلاثة التي قام بها العبد الصالح للنبي موسى

---

[1] معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج1، ص255
[2] الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص6
[3] آل عمران: 7
[4] النساء: 59
[5] الأعراف: 52-53
[6] يونس: 39
[7] يوسف: 6
[8] يوسف: 21
[9] الكهف: 78

عليهما السلام قال له كما حكاه القرآن: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}،[1] فالعبد الصالح عندما قام بهذه الأفعال ثُمَّ أَوَّلها للنبي موسى (ع) من خلال العلم الذي آتاه الله له وهذا العلم رحمة إلهية ونفحات ربانية إذن فهو افاضة من علّام الغيوب إذ علمه من لدنه هذا العلم الرباني وهو ما يسمَّى بـ (العلم اللدني) حسب التعبير القرآني في قوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً}.[2]

وعند دراسة هذه الآيات تعرف أنَّ مفردة التأويل لم تأتي في النصوص الكريمة بمعنى التفسير وبيان مدلولات الألفاظ، ولم يظهر للمتمعن أنَّ ورودها يمكن أن يكون في هذا المعنى ما عدا النص الأوَّل فقط، لأنَّه في الآية المباركة أضيف التأويل إلى المتشابه من الآيات، ولهذا رأى أكثر المفسرين لهذه الآية بأنَّ تأويل المتشابه من الآيات هو تفسير لها وبيان لمدلولها، وتوجّه الآية المباركة في نفس الوقت بعدم جواز تفسير المتشابه من الآيات، وبالتالي أنَّ المتشابه من الآيات يستعصى ويصعب فهمها ولا يصل إليها إلَّا الذي أنزله بالحقّ ومَن ثبَّته الله في العلم، وأمَّا ما يسمح للإنسان البسيط من فهم وتفسير ومعرفة معنانٍ من القرآن فهو المحكم من الآيات منه فقط،[3] وخير شاهد ما جاء في خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في صفات الله جلَّ جلاله يقول فيها: "الأَحَدُ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَد"[4]، الى أن يصل الى: "وَالظَّاهِرُ لَا بِرُؤيَة، وَالبَاطِنُ لَا بِلَطَافَة".[5]

ثانيًا: التأويل الباطني في الروايات

بحسب ما ورد في الروايات عن التأويل يمكننا تقسيمها الى:

القسم الأول: ما ورد عن هذا المصطلح من غير أن نعرف معناه مثل:

١- في رواية عبدالله بن عباس الذي وضع الوضوء للنبي فقال له (صلى الله عليه وآله): "اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل".[6]

٢- في رواية سُلَيْم الْهِلَالِيّ عندما سأل أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) وأجابه الإمام (ع) فَقَالَ: "قَدْ سَأَلْتَ فَافْهَمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلًا وصِدْقًا وكَذِبًا ونَاسِخًا ومَنْسُوخًا وعَامًّا وخَاصًّا ومُحْكَمًا ومُتَشَابِهًا وحِفْظًا ووَهَمًا... فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأَنِيهَا وأَمْلَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي وعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وتَفْسِيرَهَا ونَاسِخَهَا ومَنْسُوخَهَا ومُحْكَمَهَا ومُتَشَابِهَهَا وخَاصَّهَا وعَامَّهَا ودَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وحِفْظَهَا".[7]

القسم الثاني: وهي التي أوضحت تأويل بعض الآيات الكريمة علميًا أو وصفته بالتأويل الأعظم ومنها:

1. رواية عن الإمام موسى بن جعفر(ع) عندما سُئِل عن تأويل قول الله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ }،[8] فقال: "إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون"؟.[9]

---

[1] الكهف: 82
[2] الكهف: 65
[3] الصدر، المدرسة القرآنية ص302-304
[4] الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة 152، ص259
[5] الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة 152، ص259
[6] المستدرك، النيسابوري، ج3، ص534
[7] الكليني، الكافي، ج1، ص37
[8] الملك: 30
[9] الطوسي، الغيبة، ج1، ص184

2. رواية فُضَيْلِ عندما سأل أبا جَعْفَرٍ (ع) عن قَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}،[1] أجابه الإمام وقَالَ: "مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ"، قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ فَقَالَ عليه السلام: "ذَاكَ تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ".[2]

القسم الثالث: وهي الروايات التي فسَّرت وبَيَّنت البطن القرآني بالتأويل:

مثل رواية الْفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية: (مَا مِن القرآن آية إِلَّا وَلَهَا ظَهر وَبَطن)، فقال (ع): (ظَهره تَنزيله وَبَطنه تَأْوِيله).[3]

التحصيل من هذه الروايات

نجد في القسم الأوَّل أنَّ دعاء النبي (ص) لابن عباس، لم يتضح معنى التأويل، ونحن نعلم أن التأويل استُعمِلَ عند الأوائل وأريد به التفسير، وما ذكره ابن الأثير بأنَّ التأويل في هذا الحديث يعني المصير إلى خلاف الظاهر، حيث قال: "هو من آل الشيء يؤول إلى كذا: أي رجع وصار إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"،[4] فهو بلا دليل، نعم هو محتمل، وممكن أن يكون التأويل في دعاء النبي الأكرم (ص) بمعنى التفسير وهذا ما يتضمنه معناه اللغوي.

أمَّا في حديث أمير المؤمنين (ع)، فيمكن أن يكون التأويل هو المعنى الخفي للآيات الذي هو غير المعنى الظاهر منها، كما ذكر الطريحي عند ذكر المعاني اللغوية للتأويل، حيث قال: التأويل: "ارجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهر إلى معنى أخفى منه، مأخوذ من: آلَ يؤولُ، إذا رجع وصار إليه"،[5] ويضعف كون المراد منه التفسير حيث عطف أمير المؤمنين (ع) عليه التفسير.

ومن ناحية السند فهو صحيح عند القوم؛ لأنَّ رجاله رجال الصحيحين، كما قال الحاكم النيسابوري في ذيل الحديث: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".[6]

وحديث أمير المؤمنين (ع) رجاله عدا أبان بن أبي عيّاش إماميَّة ثقات، وإبراهيم بن هاشم مع أنَّه لم يرد فيه توثيق خاص لكنَّه من رجال تفسير ولده علي، وروى عنه كثيرًا وهو مشمول لتوثيقه العام، ولكنَّ أَبَان بن أَبِي عَيَّاش إمامي نصَّ على تضعيفه.[7]

وفي القسم الثاني من الروايات:

في حديث الإمام الكاظم (ع) استعمل الإمام غَور الماء بمعنى غياب الإمام، ومن المعلوم أنَّ مفهوم الإمام ليس مدلولًا من مدلولات لفظ الماء، ولا يقول أحد بأنَّ الإمام معنى ظاهر من لفظ الماء؛ ليكون استعمال غور الماء في غياب الإمام من الأمور الظاهرية، فهذا الاستعمال من البطن بلا شكٍّ أو ريب.

وفي رواية فضيل نجد الإمام (ع) يبيّن مصداقًا لمفهوم من مفاهيم القرآن الكريم وهو (إحياء النفس)،

---

[1] المائدة: 32
[2] الكليني، الكافي، ج2، ص130. البرقي، المحاسن، ج1، ص232، ح182.
[3] الصفار، بصائر الدرجات، ص216
[4] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص80
[5] الطريحي، مجمع البحرين، ج5، ص312
[6] النيسابوري، المستدرك، ج3، ص534
[7] الطوسي، رجال الطوسي، ص126

فإحياء النفس له مصاديقه المادية وهو الإحياء من الحرق والغرق، وعندما يُسألُ المعصوم عن الإحياء المعنوي، هل هو مشمول لهذا المفهوم الوارد في الآية الكريمة؟ وبالتالي تترتب عليه النتيجة التي يُثْمِرُها الإحياء المادّي، وهي أنَّ هذا الإحياء المعنوي والإخراج من الضلال إلى الهدى، إنَّما هو من مصاديق مفهوم الإحياء المذكور، بل هو التأويل الأعظم لهذه الآية كما ذكر الإمام (ع) حيث هو أكمل مصاديق هذا المفهوم، وسندها:

١- أحمد بن أبي عبد الله البرقي إماميٌّ ثقةٌ جليلٌ.[1]
٢- علي بن الحكم الأنباري إماميٌّ ثقةٌ جليلٌ.[2]
٣- أبان بن عثمان الأحمر إماميٌّ ثقةٌ جليلٌ من أصحابِ الإجماع.[3]
٤- فضيل بن يسار النهدي أيضًا إماميٌّ ثقةٌ جليلٌ من أصحابِ الإجماع.[4]

فجميع الرواة الذين وردوا في السند إماميَّة ثقات فالرواية صحيحة السند.

أما في القسم الثالث من الروايات:

استعمال التأويل بمعنى البطن في رواية فضيل بن يسار وفيها سأل الإمامَ (ع) عن حديث تناهى إلى سمعه: (مَا مِن القرآن آية إلَّا وَلَهَا ظَهر وَبَطن)، فقال: الإمام (ع): "ظَهره تَنزيله وَبَطنه تَأوِيله".[5]

فالمعصوم قام بتفسير البطن القرآني بالتأويل، كما فسَّر الظهر القرآني بالتنزيل، والرواية صحيحة السند أيضًا.

إذن يمكن أن نستفيد من تظافر الروايات الصحيحة وكثرتها واستفاضتها الى حد التواتر إجمالًا في إثبات وجود البطن القرآني بصورة إجمالية بغض النظر عن ماهية البطن وتشخيصها.

السيد العلّامة الطباطبائي

اسمه محمد حسين بن محمد بن محمد حسين -التبريزي القاضي- لقب بـ (الحسني والحسيني والطباطبائي)،[6] ويتصل نسبه بكريم أهل بيت النبوة الحسن بن علي (سلام الله عليهم أجمعين)،[7] ويعدُّ العلَّامة الطباطبائي من العلماء الأجلاء والمفسرين البارعين والفلاسفة الكبار، فهو نور ساطع، وَعَلَمٌ لَامِع من أعلام الإماميَّة،[8] كان (رحمه الله) متواضعًا جدًّا وعلى درجة كبيرة من الأدب والأخلاق،[9] ممَّا جعله يمتاز بأفكاره الاصلاحية في كثير من الميادين كالعمل الاجتماعي والأخلاقي والجانب العلمي والفكري فأنتج كثيرًا من الأبحاث المختصة بتلك الميادين، وهذا ما لمسناه في كتبه وآثاره التي من أهمها وأجلَّها هو تفسيره الكبير الذي أسماه (الميزان في تفسير القرآن)،[10] والذي يُعدُّ موسوعة رصينة ومميزة في علم

[1] النجاشي، رجال النجاشي، ص76
[2] الخوئي، معجم رجال الحديث، ج12، ص425
[3] الخوئي، معجم رجال الحديث، ج1، ص143
[4] النجاشي، رجال النجاشي، ص309
[5] الصفار، بصائر الدرجات، ص216
[6] الأوسي، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، ج1، ص36
[7] أميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ص285
[8] الطهراني، بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج14، ص645
[9] البحراني، قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين، ص114
[10] الغروي، مع علماء النجف الأشرف، ج2، صص562-563؛ الساعدي، موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، ج2، ص197

التفسير، إذ ينهل منه أرباب العلوم والمعارف الى يومنا هذا،[1] نظرًا لما يمتاز به المفسَّر في تفسيره لآيات القرآن بالقرآن نفسه، وكذلك قام المفسِّر في مقدمة تفسيره بوضع الأدلَّة والبراهين للأساليب المتنوعة للتفسير، وإبطاله للأساليب غير الصحيحة في التفسير والتأويل، والحديث يطول عن مزايا هذا السِّفر الكبير والموسوعة التفسيريَّة ولكن نكتفي بذكرنا لمؤلفه البارع الذي أمتاز بروحه الملهمة وتفانيه في العلم وفكره وأسلوبه وقوة إدراكه وعلو كعبه في المعقول والمنقول ممَّا جعل تفسيره يتصدر التفاسير الأخرى، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.[2]

المبحث الثاني

رأي السيد الطباطبائي بـ (البطن القرآني)

إنَّ العلامة الطباطبائي يرى أنَّ ألفاظ القرآن الكريم وبيانها، توضِّح الأغراض الدينية، وتعطي أحكامًا لازمة للمسلمين في كل الاعتقادات والعمل بما جاءت بها، ولكنها لا تنحصر بهذه المرحلة، وذلك لأنَّ في كُنهِ هذه الألفاظ والأغراض مرحلة معنوية تستقر هناك، وأمور وأغراض أبعد منها وأكثر عمقًا، فالنبي (ص) ذكر هذا في قوله: "ظاهره أنيق وباطنه عميق"،[3] ولو تفحصنا الأصل هذه الرواية لوجدناه كالتشبيه الذي قد ذكره الله تعالى بقوله: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}،[4] إذ يُشَبِّه فيه الفيوضات السماوية بالأمطار التي تهطل من السماء.[5]

ولا شكَّ أنَّ فيما يذكره السيد العلَّامة في مفردتي الظهر والبطن لم يكن مستجدًّا لديه، ولكن هو الحقيقة الإسلاميَّة التي أشارت لها الآيات، كما جاء في قوله سبحانه: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}،[6] والتأويلات قد تنافرت بخصوص هذه الآية الكريمة، فبعض الفرق أخذ بالقول بالباطن وغير مكترث للظاهر اطلاقًا، ومنهم مَن أخذ بالقول بالظاهر والباطن مجتمعين، وأنَّه كما مرَّ بالروايات أنَّ لكلِّ نصٍّ ظاهر تأويل وباطن، والعلَّامة ينتمي الى مدرسة أهل البيت (ع) التي تقول بالظاهر والباطن معًا، وتعمد إلى تأويل النصوص الدينية النقلية وفقًا لتطابقها مع ظواهر الشرع والدين، ولا تلتفت لمن يرى أنَّ لبواطن النصوص طريقتها للتعبير عنها، كما أخذت بعض الطوائف كالصوفيَّة وأصحاب القطب وأمثالهم بذلك، فاعتبرهم السيد أنَّهم جانبوا الحقَّ والصواب، وهذا الذي نوَّهَ عليه العلَّامة في بداية تفسيره الميزان.[7]

إذن هو ينظر أنَّ اهتمام المتصوفة وانشغالهم في باطن الخلق دون الظاهر خلافًا لما جاء في الآية المباركة: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}،[8] فالصوفيون تركوا التنزيل واهتموا بالتأويل، حتى وصل بهم الأمر إلى تفسيرهم للآيات بما يسمى حساب الجمل، ورد الكلمات إلى الزُّبُر والبيِّنَاتِ والى الحروف النورانيَّة والظلمانيَّة، وغيرها من هذا القبيل.[9]

---

[1] الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج1، ص169
[2] الكلانتري، مختصر الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، ج1، ص12
[3] الكليني، الكافي، ج2، ص331، حديث 2
[4] الرعد: 17
[5] الطباطبائي، الشيعة في الاسلام، ص81
[6] الحديد: 3
[7] الطباطبائي، الميزان، ج1، ص6
[8] فصلت: 53
[9] الطباطبائي، الميزان، ج1، ص6

ومن ذلك نلاحظ أنَّ رأي العلَّامة وموقفه من الظهر والبطن في النص الديني شكَّل الجانب المهم من المرويات الشريفة، وهذا ما نبَّهَ عليه في بداية تفسيره وما أورده عن النبي (ص) الذي ذكر فيه الظهر والبطن في خاتم الكتب السماوية، وكما في الحديث المروي عن علي (ع): "ما من آية إلَّا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها".[1]

وهناك من المرويات الكثير في هذا التعبير يفسَّرها العلَّامة ويبقي عليها من الرؤى المعنوية وما تستقر عندها، على الرغم من أنَّ ألفاظ الآيات وبيانها يعطي التفاصيل الكاملة للأحكام اللازمة في الاعتقادات والتعبُّد بها، ومن خلال الشرع يصل الخاصة بطهارة قلوبهم ونزاهتها الى البواطن والأسرار العميقة، وكما نلاحظ بأنَّ منهج العلَّامة في تفسيره للقرآن بالقرآن نفسه أنَّه عرض الظهر على البطن، وعرض البطن على الظهر، وقد ميَّز بين ثلاث مستويات منها التي عرفت القرآن ووافقته، ومنها التي عرفته بالملاحظة، ومنها التي استدلت بالآيات الأنفسية والآفاقية، ولكلٍّ من هذه المستويات في ظاهر القرآن وباطنه معناها وحركتها في الاستدلالات والاستنباطات للبطن والظهر، وهذا ما يلفت نواظر من بحث في نهج العلَّامة، ولعلَّ من إشاراته بما جاء في الآية المباركة: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}،[2] إلتماس لهذا البيان في الظهر والبطن، كون البشر في اختلاف وتباين القدرات والإدراك، وكذلك يكون استيعابهم للمعارف السماوية متفاوت، فمن تجلَّى أو ظهر له شيء من البطن لم يفصله عن الظهر، ومن تجلى له الظهر أولجه إلى البطن، فهما أي الظهر والبطن، كما يراهما العلَّامة مثل الروح والجسد يكمل أحدهما الآخر ليمنحا الحياة للإنسان، فإذا ما تلا حكم وجوب فريضة الصلاة، فإنَّ الظهر والبطن هما مَن يؤديان حقيقة هذه الفريضة، فيكون ظهر الحكم هو إقامة شعيرة هذه الفريضة الخاصة، ولكن بحسب البطن القرآني يدرك المؤمنون أنَّ هذه العبادة يجب تحقيقها بقلوبهم الزكيَّة وبكلِّ وجودهم، وبها سيحدث لهم التفاني في طاعة الله وعبادته، بعدما تحقق الفحش والمنكرات، كما قال السبحان: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }،[3] فالمفسّر لا يرى في البطن القرآني طريقة يتجاوز بها الحياة، كما فعلت الصوفيَّة، أو كما فعل أهل الباطنيَّة الذين احتكروا الأسرار، ولم يلتفتوا للظواهر، ظنًّا منهم: أنَّ للشريعة سرٌّ، وفي سرّها سرّ، وظاهرها باطن، وباطنها باطن كما وصفها كوربان، ولكن هو برأي العلَّامة، باطن يكتمل مع الظاهر، لأنَّ الدين الإسلامي دين متكامل وشامل، ولا بدَّ لظواهره أن تكون معنى الحياة ومعنى الإصلاح وغيرها ممَّا لا تستقيم الطاعة والعبادة إلَّا به، "وقال العلامة: أنَّ باطن القرآن لا يلغي ولا يبطل ظاهره، بل إنه بمنزلة الروح التي تمنح الجسم الحياة، وبما أن الإسلام دين عام شامل وأبدي، فهو يهتم أولا وقبل كل شيء بإصلاح المجتمع البشري، ولا يتخلى عن الأحكام الظاهرية والتي مؤداها إصلاح المجتمع، وكذا لا يتخلى عن الاعتقادات البسيطة التي تعتبر حارسة للأحكام المشار إليها".[4]

والحقيقة إنَّ من فلسفة العلَّامة ومنهجه في تفسير وتأويل الآيات ممَّا تقدم ذكره لا يفهم، لأنَّه يستغرق في البطن والظهر الى أن يكونَا سرًّا من الأسرار، أو قل طريقة تبتعد بأهلها عن البشر، سواء كان المخاطب بهذه الطريقة أو الشريعة المتَّحدين معها كالنبي محمد (ص) وأهل بيته الكرام (ع)، أم المشاهدين لجمال وجلال الله والمنجذبين إليه فيما خصَّهم سبحانه به، أم ممَّن كانت مرتبته مقتصرة على طريقة الاستدلال بالآثار، وفيما رآه بالآيات الأنفسيَّة والآفاقيَّة، فالعلَّامة يرى أنَّ لآيات القرآن معانٍ مرادة ومراتبها حسب مراتب أهل القرآن وبحسب مقاماتهم،[5] والكلُّ له ظواهره وبواطنه، بحيث لا ينفصل كلاهما عن الآخر فيما يرتبط في سلوكيات الحياة، وهذا ما قاله أبو جعفر (ع) حينما سُئِل عن ظاهر

---

[1] الطباطبائي، الميزان، ج3، ص36
[2] الرعد: 17
[3] العنكبوت: 45
[4] الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، ص83
[5] الطباطبائي، الميزان، ج3، ص35

القرآن وباطنه، فأجاب (ع): "ظهره الذين نزل فيهم القرآن وبطنه الذين عملوا بأعمالهم، يجري فيهم ما نزل في أولئك".[1]

إنَّ العلَّامة لم يعطي أيَّة استقلالية لكلٍّ من الظواهر أو البواطن، فهو يرى أن باطن القرآن لا يلغي أو يبطل ظاهره، وهذا ما يدلُّ على أنَّه فهم مدلولات الآيات الكريمة بشكلٍ جيّدٍ لدرجة ما تعطي هذه النصوص من أبعادٍ كما في قول السبحان: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}،[2] فيفهم من ذلك أنَّه جلَّ جلاله هو الظاهر والباطن المطلقان الذي يتَّجه إليه عباده بظواهرهم وبواطنهم قلبًا وقالبًا، بحيث يكون لهم من الأمرين النسبيين أي: الظاهر والباطن، وهذا الذي وضَّحه وبيَّنه العلامة لجهة قوله: "إنَّ الظهر والبطن أمران نسبيان، فكلُّ ظهرٍ بطن بالنسبة إلى ظهره وبالعكس" كما ذَكَرَ الإمام أبو جعفر (ع) لجابر بقوله له: "يا جابر إنَّ للقرآن بطنًا وللبطن بطن وظهرًا وللظهر ظهر، يا جابر وليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآية تكون أولها في شيء، وأوسطها في شيء وآخرها في شيء".[3]

إنَّ مرتكز العلَّامة وتفسيره للباطن والظاهر، هو قوله عزَّ وجلَّ: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}،[4] ولطالما فهمنا أنَّ لآيات القرآن الكريم معانٍ طولية بحسب اختلاف درجات المراتب والأفهام والمعرفة، فإنَّ ذلك يكشف لنا عمَّا يريد الذهاب إليه السيِّد العلَّامة في تأويله لمعنى الظاهر والباطن القرآني إذ هو يرى-الذي سبقه لذلك صدر المتألهين- أنَّ هذه الأودية في الآية الكريمة هي لتشبيه ما عليه من تباين الناس في درجات الاكتساب المعرفي، ولعلَّ السيد كان متأثِّرًا بما يراه صدر المتألهين في الآية المباركة، وقد رأى أنَّ العلم كالبحر الواسع أجريت منه الأودية، ثُمَّ أخرجت الأنهار من الأودية، ثمَّ أجريت الجداول من الأنهار، ثمَّ تفرعت السواقي من الجداول، فالفرع الذي أجري لا يحتمل الأصل الذي خرج منه، فالعلم عند الله كالبحار، أعطى الله منها الأودية للرسل والأنبياء وأوصياءهم، والرسل أعطوا الأنهار من أوديتهم إلى العلماء، والعلماء أعطوا الجداول الصغار من أنهارهم إلى عامة المتعلمين حسب طاقاتهم واستيعابهم، والصنف الأخير أجرى إلى من هم أقل منهم وهكذا يعطي الأعلم لمن هو أقل منه وحسب طاقاته،[5] قال العليم: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}.[6]

فالطباطبائي في البطن القرآني لا يترك الظاهر، وإنّما يبحث فيه، ويجوب في فضاء القرآن والمرويات، لفهم النصوص الدينية مستندًا على اقتراب السياق،[7] إذن السبيل الى باطن النصوص هو ظاهرها، لأن تكليف الإنسان بالأعمال الظاهرية، فإذا قام بها على أتم وجه فحتمًا ستنتهي بالاستقرار معنويًا، لأنَّ السيِّد يرى في كُنهِ هذه الأمور مرحلة معنوية وأمور أكثر عمقاً.[8]

وعلى العموم فقد تعددت أفهام المسلمين في البطن القرآني وتباينت المسالك من صدر الإسلام ليومنا هذا، فبعضهم اعتبره من دون الأخذ بالظاهر، وبعضهم على العكس تمامًا، وبعضهم يكتفي بالإشارات للحن القول ويأخذ برأيه حيث تأخذه الأنانية، رغم أنَّ القرآن وجَّهنا إلى التفكر والتدبُّر في آياته، فلا بُدَّ من الابتعاد عن الرأي والهوى واشكالاته، بحيث نستنطق القرآن للقرآن، وهذا ما عمل به العلَّامة الطباطبائي، إذ أخلص لله في دينه وعقيدته، في ظاهره وباطنه، فاعتبر البطن والظهر معًا، وحافظ على العقيدة وأصول الإيمان والدين والمعارف الإلهية، التي جعلها البارئ مسلكًا حقيقيًّا إليه.

---

[1] الطباطبائي، الميزان، ج3، ص35
[2] الحديد: 3
[3] الطباطبائي، الميزان، ج3، ص35
[4] الرعد: 17
[5] الشيرازي، شرح أصول الكافي، ص 547
[6] يوسف: 76
[7] الطاباطبائي، القرآن في الإسلام، ص53
[8] الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، ص81

الخاتمة

وفي الختام أنَّ نظرية البطن القرآني حازت على أهمية كبيرة عبر التاريخ، وتعددت المستندات الأساسية لها، فبعضها عقليَّة وبعضها الآخر نصيَّة، ترجع الى الأدلَّة النقليَّة من الآيات الكريمة والروايات التي تَطَرَّقَت لموضوع بحثنا، فتحتاج للبيان والإحاطة بموضوعاتها من خلال جمع الآيات عن الموضوع المراد الكلام عنه وكذلك الإحاطة بما ورد عن النبي (ص) وأهل بيته الكرام (ع)، وأنَّ هذه المرويات تبيّن وتوَّضح معانِ القرآن الباطنية بالطريقة الالتزاميَّة أو المصاديق الحادثة أو الاستيحاء أو التجريد وما شابه ذلك ممَّا لا ينافي معيارية اللغة وقواعدها، ورُغمَ وجود الاختلافات في التأويلات التي استنبطت من قبل المتأوّلين لكنها لم تتعارض كليًّا، وهذا هو سِرُّ الإنسجام في النصوص الدِّينيَّة دُونَما تَهَافُت أو تَعارُض، وذلك لِمَا في السياق وغيره من الروابط البيانيَّة التي مِن شَأنِها أن تحكم النصوص بقالب يحكي الاتفاق والتناغم مهما تَنافَرَتِ الألفاظ في حدِّ نفسها وحَاقَ لفظها، وهذا ما توصلنا إليه بوصفه مقدارًا متيقنًا وثبتته الروايات بشكل مؤكد كما أسلفنا، وقد توصلنا الى نتائج عدة.

النتائج

١- أنَّ للبطن القرآني حقيقة وجودية عينيَّة محكمة غير مفصلة وخزائنها عند الله تعالى في كتابه المجيد ويُنَزِّلها بقدرٍ معلومٍ وهي التي نسميها التأويل، وهذه الحقيقة غير الحقيقة التي بَينَ أيدينا.
٢- أنَّ ظهر القرآن وما أظهره الله من معانيه هو لأهل العلم، وبطن القرآن وما تتضمَّنه الآيات من الأسرار الإلهية في البطون هي التي يطلعها الله لأرباب الحقائق والمعارف.
٣- أنَّ النصَّ الديني قابل لتجدّد استنباط العلوم والأحكام، فالعلماء الى يومنا هذا يستثيرون النصوص لاستخراج الأحكام من الآيات ولا يمتنع عليهم القرآن لأنَّه غضًّا طَرِيًّا ويجدونه منبعًا ومعينًا صافيًا لا ينضب أبدًا، وهذا ما يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم يحوي بطون متعددة يستفيد منها البشر على مرِّ الزمن.
٤- يمكن أن نشير ونؤكد بأَنَّ المنهج المتبع في تفسير العلَّامة للقرآن بآياته نفسها، كونه هو مبيّن وكاشف عن كلِّ ما يلتبس على المفسرين والباحثين والمتدينين، باعتباره تبيانًا لنفسه، كما هو تبيان وتفصيل لكلِّ شيء.
٥- أَنَّ طريقة العلَّامة بتفسيره لآيات الله بالآيات نفسها قد عرض الظواهر على البواطن، والبواطن على الظواهر، وقد ميَّز بين ثلاث مستويات منها التي عرفت القرآن ووافقته، ومنها التي عرفته بالملاحظة، ومنها التي استدلت بالآيات الأنفسية والآفاقية، ولكلٍّ من هذه المستويات في ظاهر القرآن وباطنه معناها وحركاتها.
٦- إنَّ نظرية البطون القرآنية تسمح للمفسر بفهم أعمق للنص الديني وبالتالي الوصول الى معانٍ خفية وجديدة على أن لا تخرج عن المنقول من النصوص الدينية.
٧- أنَّ تعدُّد المعاني المؤوَّلة للخطابات الشرعيَّة ودرجة اختلاف المتأوّلين لها ذُو أَثَر بَليغ في أكثر المسائل الفقهيَّة سواء كانت الفرعية أو الجزئية، وفي كافَّة فروع وجزئيات هذا الدِّين تَبَعًا لقوَّة استنباط كلّ مُجتَهِد راسخ في العلم.
٨- هذا العلم من اختصاص أولي البصائر الذين وصفهم الله برسوخ العلم والثبات، وهم تُرجمان القرآن وخُزَّان العلم بعد النبي (ص)، كيف لا وهم أهل بيته الكرام الَّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا، فمن أراد أن يختص بذلك فليسلك طريقهم لينتهل منهم (سلام الله عليهم أجمعين).

التوصيات

١- للباحثين أن يقفوا عند رأي السيد الطباطبائي في سِفرِهِ الكبير الميزان، وذلك لعلو كعبه في المنقول والمعقول، وقوة استنباطاته العميقة في معاريض الألفاظ ودلالاتها.

٢- إنَّ البحث مختص برأي أحد علماء ومفسري القرآن، فبإمكان الباحث أن يوسع دائرة البحث إلى آراء أُخرى والوقوف عليها والاستفادة من فهم مدلولاتها حسب ما صدر من أهل الذكر (عليهم السلام) كونها تُسبِر غور المعاني وتظهرها جليًّا.
٣- حتى لا نقع في المحظور، أنَّ طرق التأويل الباطني تحتاج الى ملكة وقوة الاستنباط والفهم والمعرفة الراسخة للخوض في معاني الألفاظ ومن ثُمَّ الوصول الى تأويلها الأعظم كما نُقل عن أهل بيت العصمة (ع).

المصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:

١. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، الطبعة: الرابعة، إيران، قم، مؤسَّسة إسماعيليان، 1364ش.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ عدد الأجزاء: 15
٣. الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، دار الكتب العلمية.
٤. الأمين، السيد حسن. (1408ه). مستدركات أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف.
٥. أميني، محمد هادي. (1964م). معجم رجال الفكر والأدب في النجف. العراق: مطبعة الآداب النجف.
٦. الأوسي، علي. (1985م)، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، طهران: مُعاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي.
٧. البحراني، عبدالعظيم المهتدي، قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين، بيروت، مؤَسَّسة البلاغ.
٨. البرقي، أَحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، 1370هـ، طهران: دار الكتب الإسلامية.
٩. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، 1417هـ، قم المقدسة، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.
١٠. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفصيل الطبقات، الطبعة: الخامسة، 1413هـ، مؤسَّسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي.
١١. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة.
١٢. الساعدي، محمد، موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح، طهران، المجتمع العالمي للتقريب بين المذاهب.
١٣. الشريف الرضي، نهج البلاغة، الطبعة: الأولى، القاهرة، طبعة مؤسسة المختار 1427 هـ - 2006م.
١٤. الشيرازي، صدرالدين، شرح أصول الكافي، تحقيق: عمر خواجوي، إيران، مؤسسة: مطالعات.
١٥. الصدر، محمدباقر، المدرسة القرآنية، الطبعة: الثالثة، مطبعة: شريعت – قم، 1426هـ.
١٦. الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، 1404هـ، طهران، منشورات الأعلمي.
١٧. صلبيا، جميل، المعجم الفلسفي، الطبعة: الأولى، بيروت- لبنان، الشركة العالمية للكتاب.
١٨. الطباطبائي، محمد بن حسين، الشيعة في الإسلام، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٩٩٩م.

١٩. الطباطبائي، محمد بن حسين، القرآن في الإسلام، الطبعة: الاولى، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٢٠. الطباطبائي، محمد بن حسين، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة: الأولى، 15 شعبان. 1426هـ إيران: قم، مطبعة ثامن الحجز عليه السلام.
٢١. الطريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، الطبعة: الثانية، مرتضوي.
٢٢. الطهراني، محمد محسن، (2009م). طبقات أعلام الشيعة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٣. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، الطبعة الأولى: رمضان المبارك، 1409هـ.
٢٤. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، مؤسَّسة المعارف الإسلامية.
٢٥. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، إيران، قم المقدسة، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
٢٦. الغروي، السيد محمد، مع علماء النجف الأشرف، بيروت دار الثقلين.
٢٧. الكلانتري، إلياس، مختصر الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، طهران دار الأسوه.
٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الطبعة: الأولى. 2007 – 1428، بيروت، لبنان، منشورات الفجر.
٢٩. معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع، الطبعة: الأولى، 1429هـ، قم المقدسة، ذوي القربى.
٣٠. معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، مؤسَّسة دار النشر الإسلامي.
٣١. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، إيران، قم المقدسة، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
٣٢. النيسابوري، الحاكم محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: الضرب: يوسف عبدالرحمن المرعشلي.